

المقدمة النقدية

قراءة سيميائية في عتبتها النصية

حفيظ ملواني

1 - خلفية المفاهيم

المقدمة هي خطاب استهلالي مُمهّد يقع في واجهة الخطاب المحوري الذي سُوّخر لأجله على وجه التعميم¹، أما في نطاق التحديد فيتعين التمييز بين المقدمة و التمهيد؛ حتى وإن كانتا من حيث الظاهر تتساقان نحو الخوض في موضوع واحد أو على الأقل هناك تقاطع واضح المعالم بين ما تطرقه المقدمة وما يعتني به التمهيد؛ وقد تبرز أهمية المقدمة بشكل خاص ضمن الوظيفة التعليمية (la fonction didactique) التي تؤديها؛ فمما نتوقعه من التمهيد في اشتغاله كنظام معرفي بالدرجة الأولى و هو يخدم منطق الإشكالية التي يسير وفقها الموضوع في سياق المحتوى أكثر من الإطار الشكلي الذي هو من اختصاص المقدمة ذاتها، إذ أنه أي التمهيد بمثابة الأرضية التي سيستند عليها الموضوع الرئيسي بين دفتي الكتاب مراعيًا في ذلك الجمع بين متشوم التعميم و الأهمية العلمية؛ فله أن يراعي

المفاهيم العامة على قدر تعددها و اختلافها فنلتبس ضمن الإطار نفسه عنصر الثبات و الاستمرارية؛ فيحق له أن يكون جزء محايثا بل لصيقا بالموضوع المستهدف؛ في حين نجد المقدمة لها قابلية التجديد و التغيير الدائم مع كل ظرف يفرض تحوّل في الموقف أو على سبيل المراجعة، قصد تلبية حاجة معرفية راهنة، و سيتجلى ذلك بشكل واضح عبر تعدّد الطباعات التي تشهد بها بعض المؤلفات بجميع أصنافها

تقريبًا كما أنها ضمن مستواها الشكلي يجري تعداد صفحاتها بأرقام تخصها أو في شكل رموز حسابية خاصة استتالا إلى نمط اللغة الأجنبية كاستعمال الأرقام اللاتينية أو الحروف العربية المتعلقة بالمقدمة التي تعتمد اللغة ذاتها؛ أو في ختام نصها يمكن أن تحيل إلى تاريخ إتمام إنجاز الموضوع المستهدف؛ مكانها في مستهل المؤلف أما وضع كتابتها زمنيا يتحقق بعد إنجاز الموضوع على تمامه بجميع فروعها بما في ذلك الخاتمة؛ قد

2 -آليات المعالجة

(ص)

(ع)

(س)

كلمة "إنسان" ← معنى كلمة إنسان ← إنسان "جمع

بيولوجي "واقعي"

قد تساعدنا هذه التوطئة تبين إحدى الفرضيتين في شكل سؤال جدلي عند تمثّل المقاربة السيميائية التي نتوخى الوصول إليها؛ هل يكون التعامل على أساس أنها مادة محددة المعالم تمتلك طريقة منسجمة في إطار خصوصية موضوعها أم أنها حقل يتسع لمسارات بحث عدة؛ تتفرع بالنظر إلى مواطن عناية الباحث فيما يريد أن يتوصل إليه³⁹ وهنا تحديدا مريبط الفرس في تعاملنا المنهجي؛ بمعنى لا يمكن أن نقرأ بنفس الكيفية ولو في سياق المقاربة السيميائية بين وضع قصيدة شعرية و نص سردي أو خطاب نقدي الذي يرتسم على ملامح نص المقدمة، إذا الطبيعة تختلف و الوظيفة أيضا ،و تبعا لذلك يمكن بناء تصور منهجي وفق نموذج مبسط يأخذ بواقم الاستقرار دون إسقاط فعالية الاستنتاج .

بداية نعتد بأن المقدمة هي أقرب إلى وضع العلامة الكلية التي تأخذ بوظيفة التبليغ اللغوي سيميائيا و تداوليا (pragmatique) في الوقت نفسه؛ ضمن قاعدة تواصلية بين المرسل في وجود رسالة مشفرة وهي نص المقدمة و مرسل إليه ، تبعاً لمن هو موجه الخطاب وهذه حقائق لا مفر منها ؛ إلا لا معنى أصلاً يبرر الخاصية

المعرفية و التواصلية التي تمتاز بها المقدمة بلغة دقيقة واصفة: تشرح خطة الموضوع أو المؤلف، بل ترسم خطاطته العامة في قالب اصطلاحي تستقطب القارئ المتخصص في غالب الأحيان بما يعلل وجود مسعى "مقدمة نقدية" فهي تشهر في حد ذاتها الصفة النوعية و الخصوصية في أن واحد؛ معنى ذلك يتم إفراد مصطلحات خطاب المقدمة على النحو الإفرادي بمنظور مصطلحات النقد الأدبي ليتم بعد ذلك ربطها وفق علاقات ممكنة تجمع بين التكامل مقابل وضع التضاد في جانب آخر

قد تستدعي مقارنة خطاب المقدمة في نطاق دلالة هذا الخطاب سيميائيا مسلكا انتقائيا حتى يتم إزالة الغموض و استبعاد القراءات الانطباعية 4 لكي تقترب أكثر من مفعول الخطاب بمنطق وجود شكل لغوي محدد المعالم يحتضن محتوى معرفي تكتنفه الخصوصية ضمن قالب نسقي واحد، حيث يكون خيارنا في اعتماد مفاهيم محورية: عبر خمسة مقومات تؤسس جدوى تحليلنا السيميائي المتفق مع خصوصية النص الذي يجري معاينته

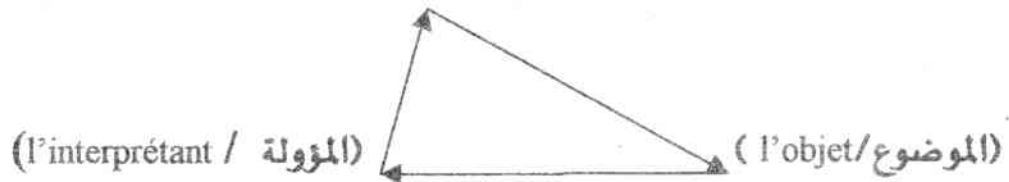
أولاً: الأخذ بأطروحة بنية العلامة البيرسية

سنحاول أن نوظف مفهوم و بنية العلامة كما حددها عالم السيمياء شارل ساندرس بيرس (Charles Sanders Peirce) إذ أنه يوضحها وفق نسق ثلاثي علائقي انطلاقاً من الركن الأول و نعني به المصورة (representamen) التي تستقل بذاتها؛ كما تستهدف الركن الثاني من تأسيسية العلامة التي تقوم عليها تحت مسمى عتبة الموضوع (l'objet) الذي يكون تابعا لها؛ و في الوقت نفسه تضمن له خصوصية العلامة التي تبنى لأجلها؛ و في سياق ذلك ينبثق الركن الثالث المؤولة (l'interprétant) كحتى تتم مسألة صياغة المعنى الذي تصطنعه العلامة لنفسها ذات البعد الثلاثي عبر آلية الممكن أو وفق مشروعية الاصطلاح انطلاقاً من صفة النوعية (la qualité) إلى التجسيدية (la concrétisation) إلى الأثر المعنوي الذي تثيره (effet de sens)

مدينة الجزائر

صورة أيقونية أو خطية أو صوتية / درجة النوعية

(المصورة / representamen)



صورة طبيعية أو عمرانية من الواقع

تعكس صفة التجسيد لمدينة الجزائر / درجة التجسيد

التمثل الذهني لمداول

مدينة الجزائر في وضع

الاستيعاب / درجة أثر المعنى

ثانياً: حقول الخطاب

يتم على إثره إحكام العلاقات الاحتوائية بين مفردات الخطاب قصد التوصل إلى الدلالات الحافة ومنه الوصول إلى النواة الدلالية، نو ذاك هو ما شرّع به غريماس (A. J. Greimas) في مساءلة الدلالة⁶ ضمن وضع الاستقراء حتى يستوي في الباحث حقه من معاينة الموصوف ثم التحليل الذي يفكك مكونات الخطاب حتى ترسم الوحدات الدلالية الجزئية للوصول إلى بؤرة الدلالة إن من شأن هذه القراءة الدلالية بحسب نظام الحقول ستسمح للدارس أن يكتشف اللاتجانس ضمن سياق كان يبدو للوهلة الأولى من خليقة التجانس؛ اعتماداً على الدلالة التقريرية وفق أبعاد معيارية من نتاج القاعدة الاصطلاحية النافذة بين مؤسسات المجتمع وفئاته المختلفة؛ مقارنة بأثر الدلالة الإيحائية المتحررة من الضغوط الاجتماعية؛ وهي بدورها مدار إثراء في صنع المعنى بشكل غير متوقع، ومن خلال هذين الشائيتين يتم التركيز على منحى القطب الدلالي (l'isotopie) الذي باستطاعته أن يكرس مبدأ الانسجام في نطاق علة المعنى، ولنا أن نتصور في سياق ذلك ما يترتب من التحول من مستوى الوحدات الدلالية؛ مفردات الخطاب (lexème) التي تحتكم إلى الصيغة التعبيرية الشكلية إلى حدود الدلالات الحافة (sémème) فنلتبس أثر المعنى ثم الظفر بالنواة الدلالية (sème) التي هي مركز المعنى ومن ثمة مركز الخطاب⁷

ثالثاً: البعد التداولي

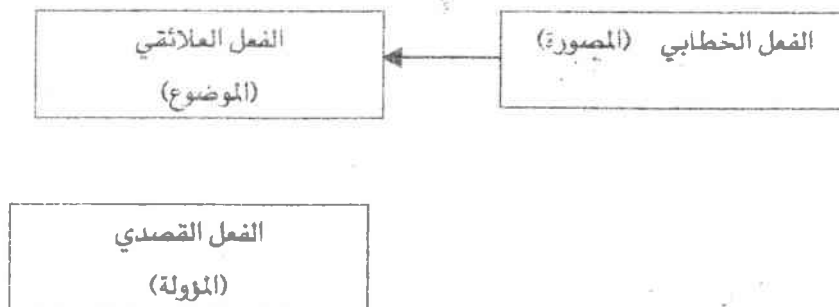
هو بمثابة خطوة إجرائية تعلل طبيعة الخطاب الذي يجري معانيته في سياق اتصالي معطى؛ من قبيل أن الخطاب الحجاجي (le discours argumentatif) هو أساس و عمدة المقدمة النقدية التي يجري تمثيلها في نطاق وجود قصد مبرر واضح المرامي تحركه الأداة الإقناعية⁸ بفعل صلة المرسل بالمرسل إليه على ضوء اشتغال منطق سيميائية الاتصال مما قد يمكن من ضبط مسار العلاقة المتشابكة التي تصير بدورها علامة دالة ضمن واقع سيميائية المعنى وفق ترسيمة البعد التداولي المترتب عنها؛ فنحصل على وضع اتصالي معقد تحكمه ثلاثة مستويات⁹

الفعل الكلامي (acte locutoire): قياساً على مبنى التلفظ بحيث يدفع إلى أن ينتج المتلقي إجابة

الفعل العلائقي (acte illocutoire): يؤسس العلاقة المادية بين المتحدث و متلقي الخطاب فيعمل على

مدّ جسر التواصل بغض النظر عن المعنى

الفعل القصدي (acte perlocutoire): هناك قصد مبيت يتجاوز ما يظهره المعجم اللفظي للخطاب



رابعا النموذج العامل

يتحقق على ضوئه أركان التعامل بين الفاعل (sujet) و الموضوع (objet) في نطاق ضراع قائم بين المساعد والمعارض 10 وهنا نشدد على سياق الصلة التي تحكم المؤلف بالمؤلف في ظل هدف محدد مميز له ما يحالفه وله ما يعيقه ؛ كما أنه لا يقتصر على عنصر الرغبة أو بحث عن شيء مفقود كما يتمثله رهبان الحكاية الشعبية ، وإنما الوصول إلى نتيجة تحمل قيمة معرفية دون استبعاد قيمة تجارية وفق ما يفعله النص الإشهاري (de texte publicitaire) 11 فيحقق الوظيفة الإخبارية ، يلفت انتباه المتلقي بقوة الصورة أو العبارة ، و يكشف عن المصادقية التي لا يمكن الطعن فيها

خامسا المربع السيميائي

حيث تكون قراءة جامعة لمختلف العلاقات المنطقية الممكنة بين مختلف العلامات النصية الواردة في خطاب المقدمة النقدية حتى تتحدد التصورات والمفاهيم العالقة بها ؛ فهي تعضد مبدأ الاتصال أو الانفصال على ضوء جملة من صلات تتحقق على إثرها فرضية التكامل على قاعدة التلازم و الوجوب أو التضاد عبر التناظر الذي لا يؤدي إلى الإلغاء أو التناقض بمعنى نفي الآخر ؛ فتكشف أبعاد الدلالة الصريحة و الضمنية وفق تشكل الأدوار الموضوعاتية

(les rôles thématiques) 12 من حيث أن الموضوع ضمن الواجهة الخطابية

(Plan discursif) تحركه الكلمة ليحسم فيه السياق النصي (le contexte textuel) من ناحية المعنى



3- نماذج الدراسة

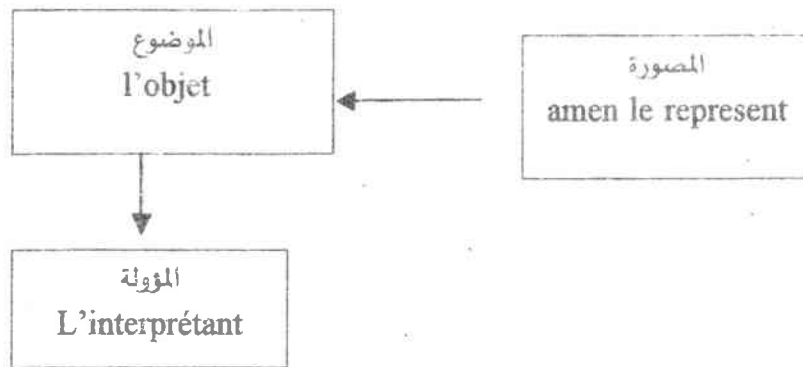
لقد وقع اختيارنا على ثلاثة نماذج للمقدمة النقدية كلها راعت شرط التخصص ؛ حتى نستطيع في خاتمة الدراسة بناء خطاطة عامة برؤية سيميائية تختص بوضع "المقدمة النقدية" و يمكن تعدادها على النحو التالي:

1.3 - مقدمة "قراءات مع الشاب والمتبني والجاحظ و ابن خلدون"

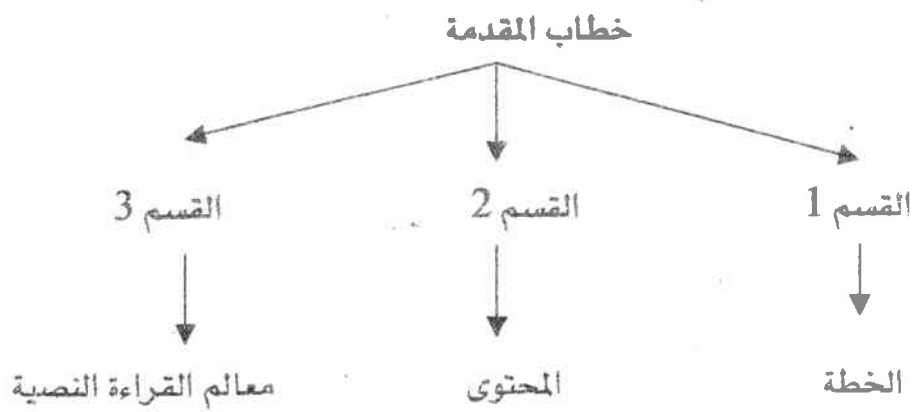
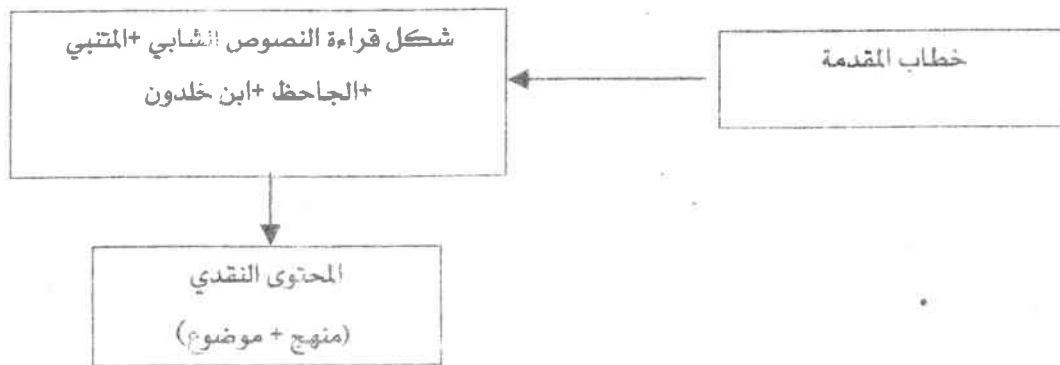
تتعلق هذه المقدمة تحديدًا بالكتاب الذي ألفه الباحث "عبد السلام المسدي" وفق العنوان المذكور

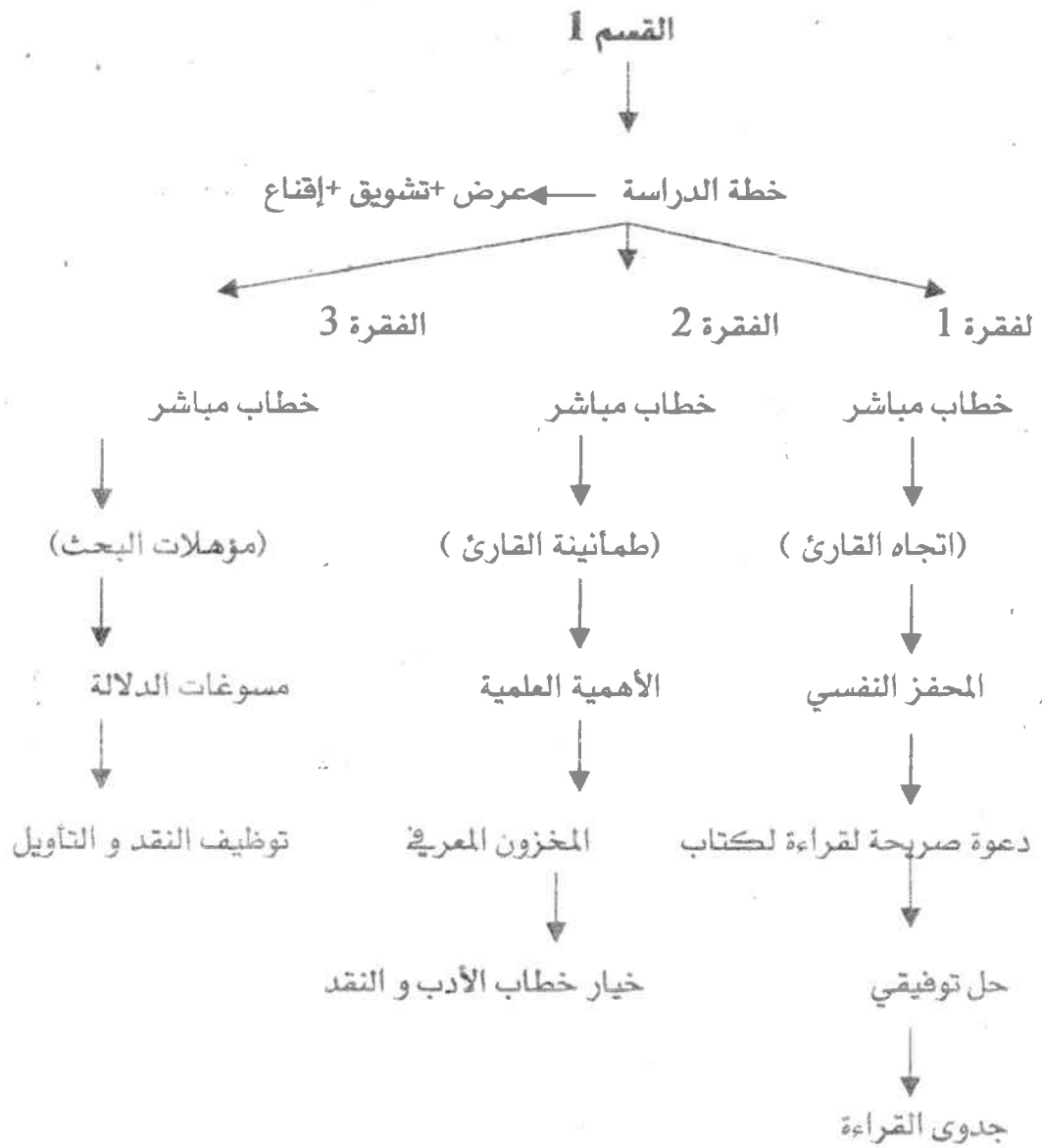
أعلامه 13

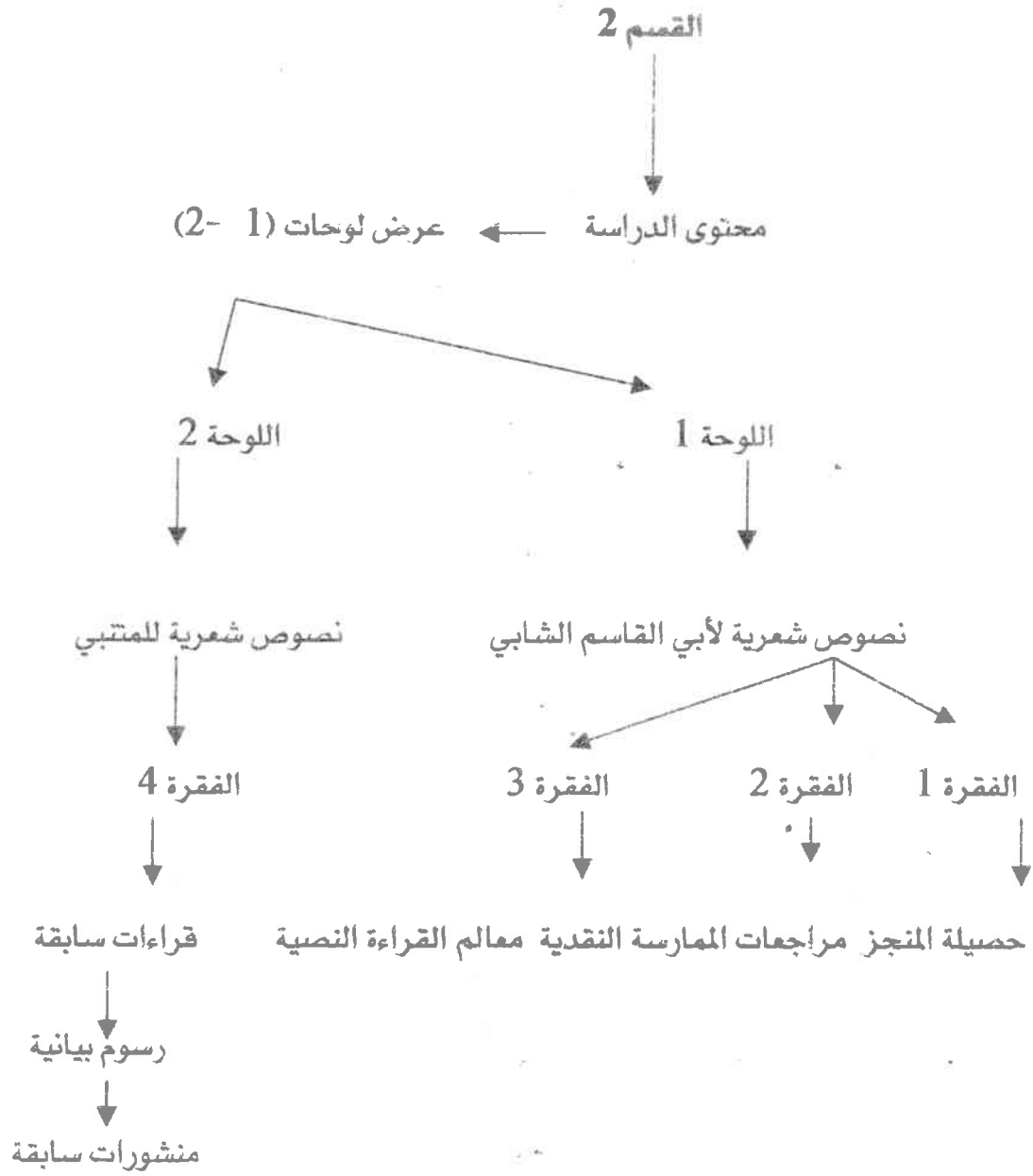
* نظام النص

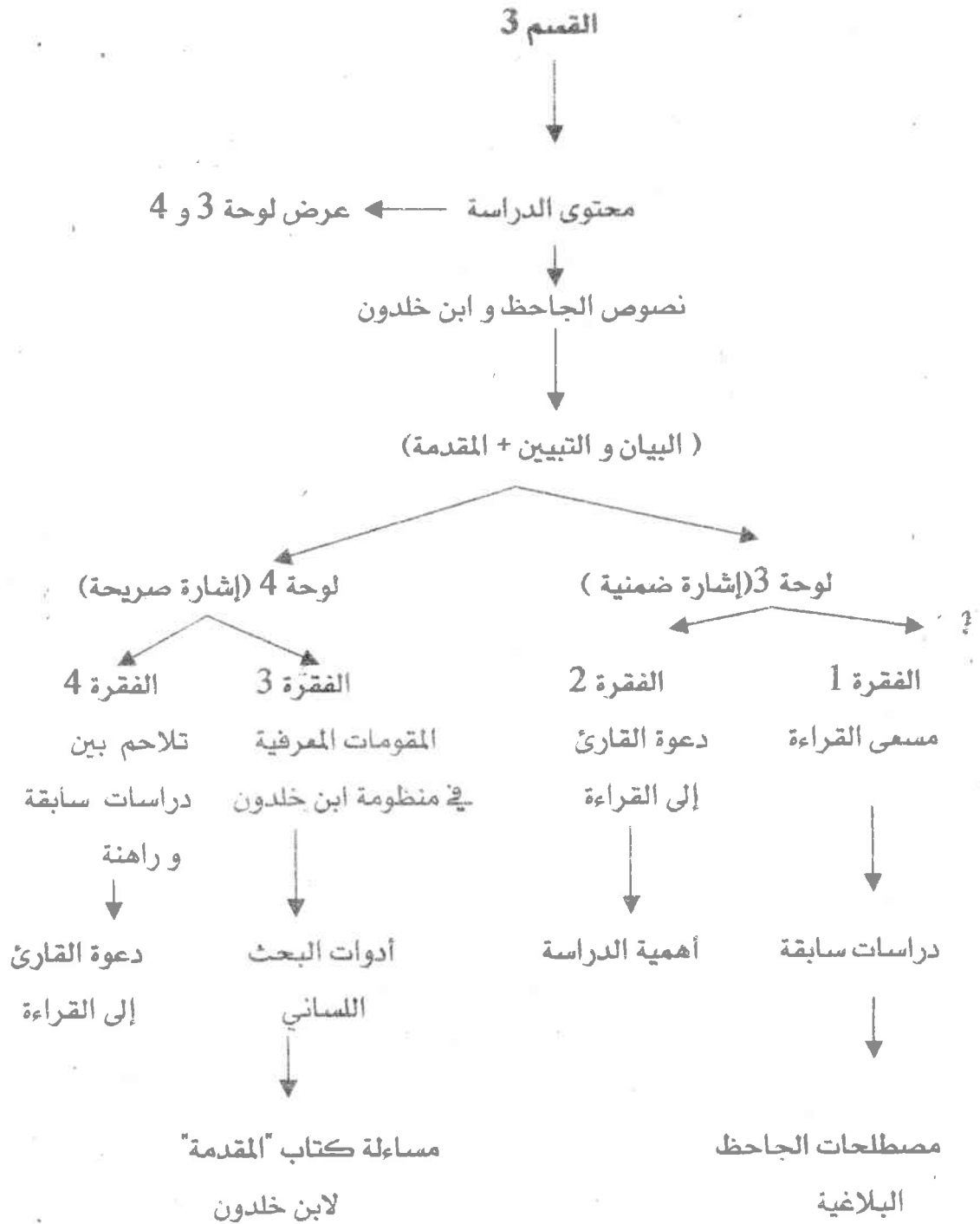


◆ نظام النص

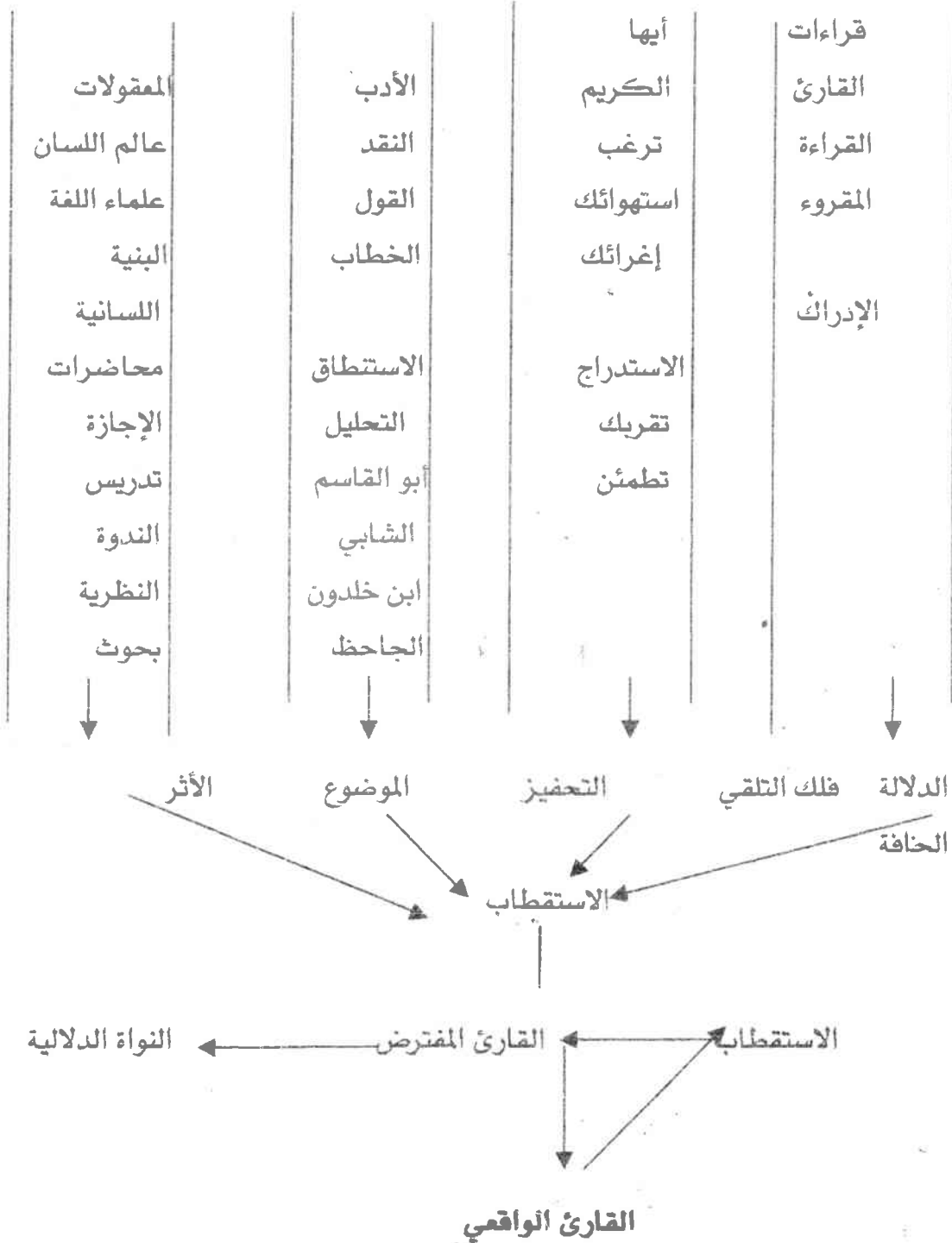




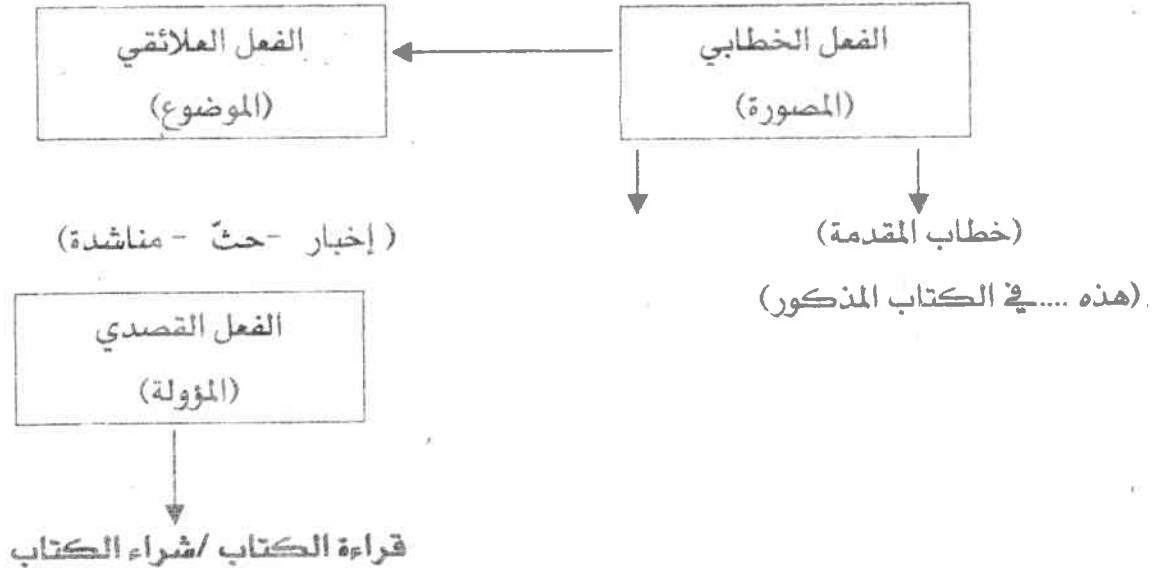




❖ حقول الخطاب

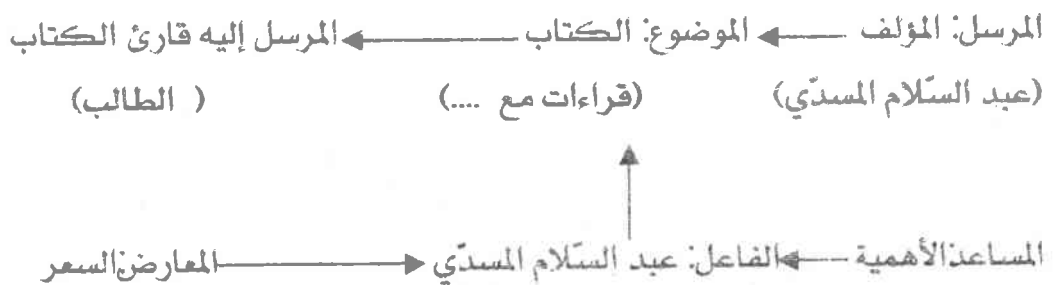


◆ البعد التداولي



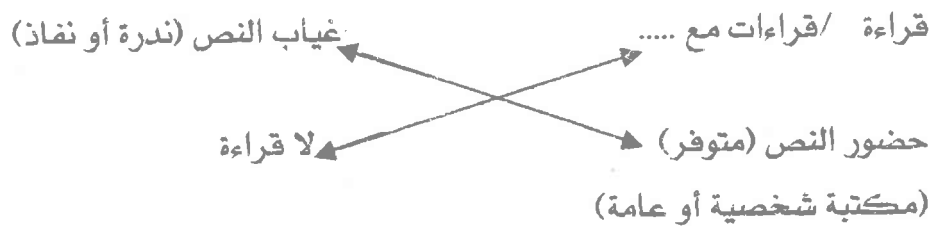
◆ النموذج العاملي

يمكن تحديد معالنه على النحو التالي:



◆ المربع السيميائي

يمكن تحديد معالنه على النحو التالي:



تتمظهر أوجه العلاقات وفق الاحتمالات التالية:

المحور الإيجابي إمكانية قراءة النص → وجود النص → فهم النص

المحور السلبي: عدم إمكانية قراءة النص → غياب النص → عدم فهم النص

حركة التضاد القدرة على استيعاب النص ^ النص غير موجود

النص موجود ^ عجز استيعاب النص

حركة التناقض: النص موجود ✓ النص غير موجود

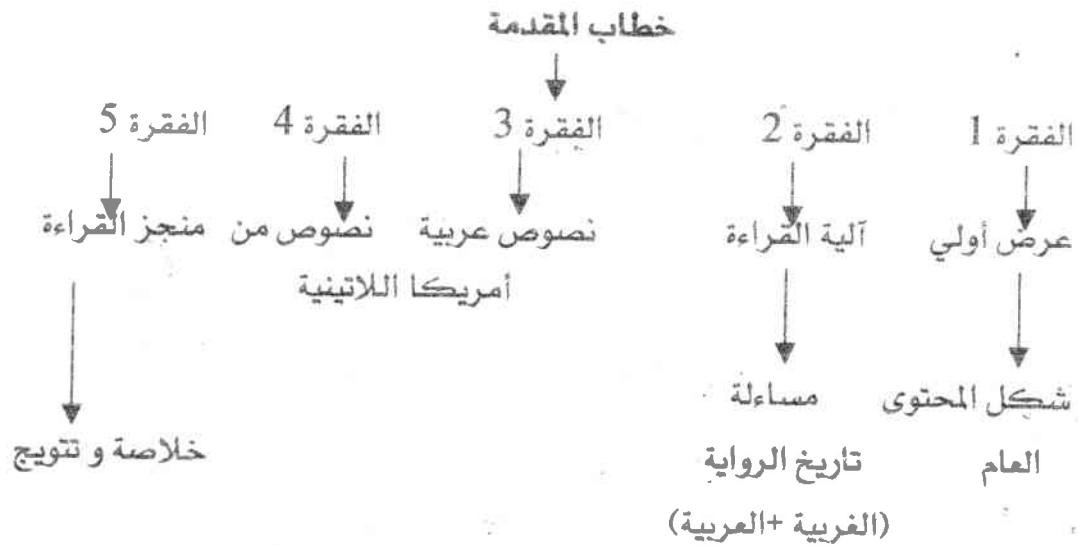
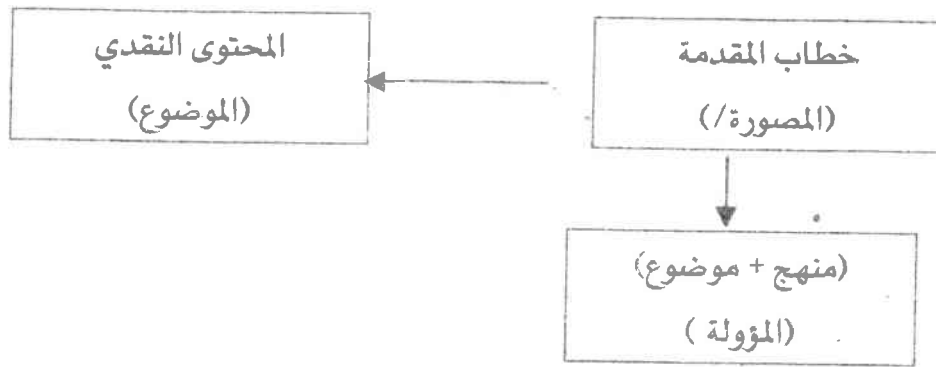
الشروع في القراءة ✓ التخلي عن القراءة

حركة التكامل: النص موجود → قراءة النص → استيعاب النص

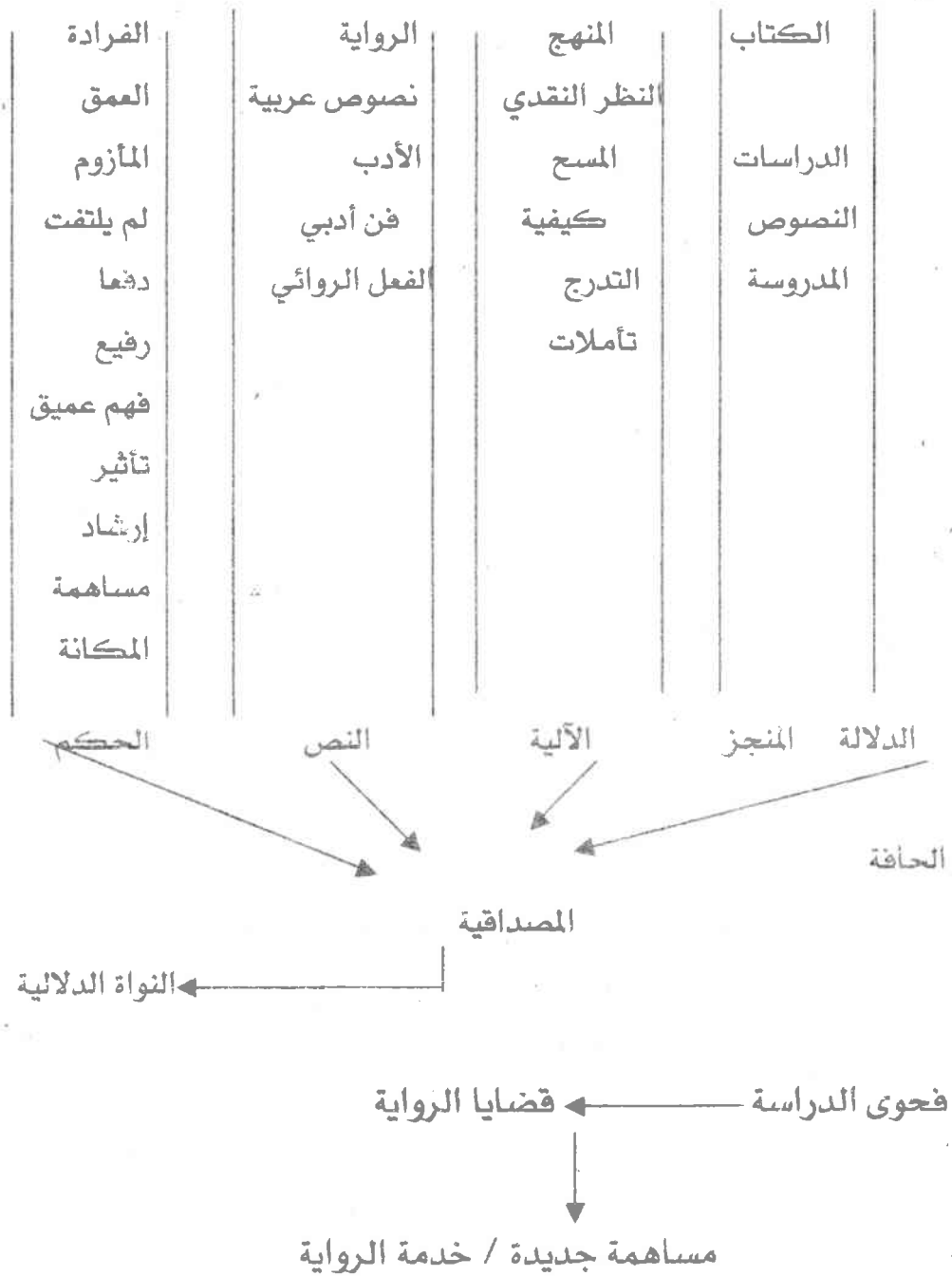
النص غير موجود → استحالة قراءة النص → استحالة استيعاب النص

2.3 - مقدمة والنص المرصود¹⁴

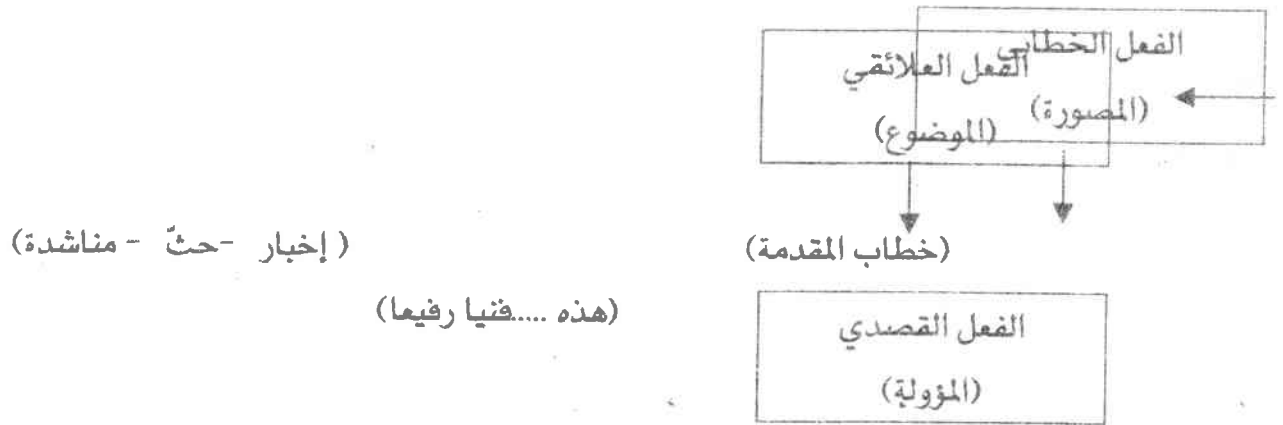
تتعلق هذه المقدمة تحديداً بالكتاب الذي ألفه الباحث سمير أبو حمدان وفق العنوان المذكور أعلاه¹⁴



♦ حقول الخطاب



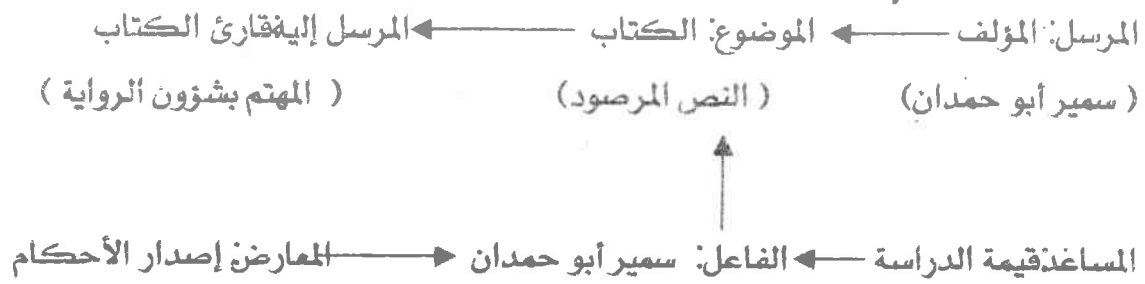
♦ البعد التداولي



قراءة الكتاب / شراء الكتاب

♦ النموذج العاملي

يمكن تحديد معاملة على النحو التالي:



♦ المربع السيميائي

يمكن تحديد معاملة على النحو التالي:

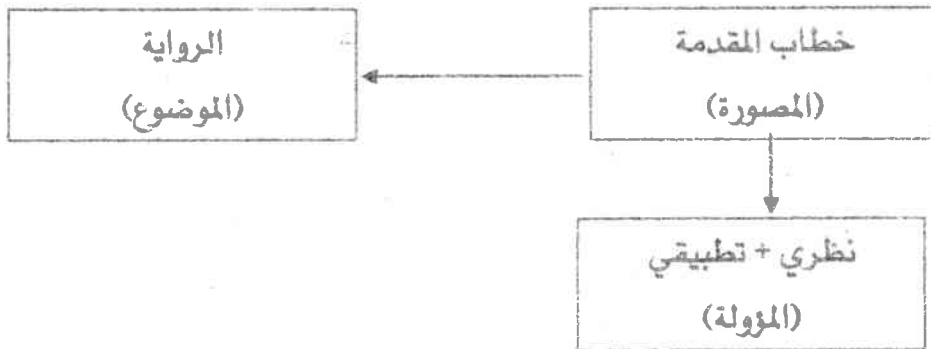


تتمظهر أوجه العلاقات وفق الاحتمالات التالية:

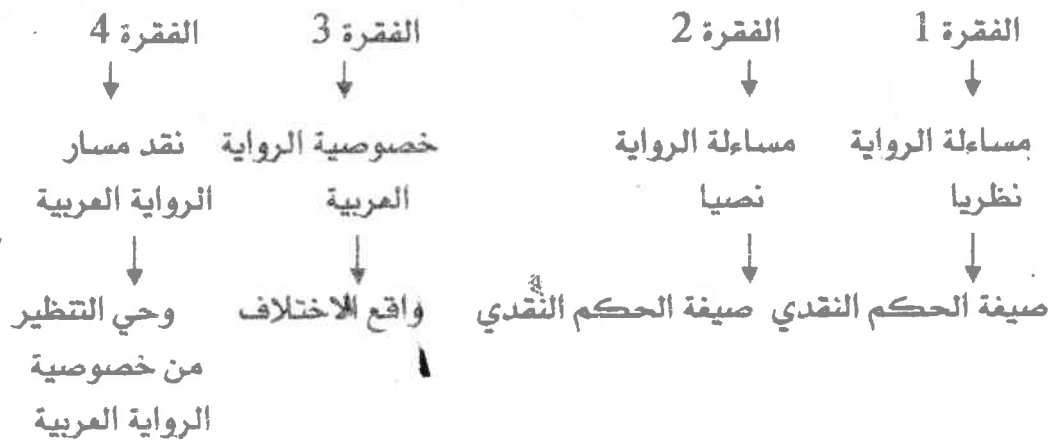
المحور الإيجابي: وجود الرواية من أمريكا اللاتينية — وجود الرواية العربية — النص الراجي
 المحور السلبي: نص الرواية — أيديولوجيا معارضة — تخلف فني
 حركة التضاد: النص العربي ^ مواقف مناهضة لا تصل إلى حد المنع
 النص الأجنبي ^ مواقف مناهضة لا تصل إلى حد المنع
 حركة التناقض: النص العربي √ مواقف مناهضة تصل إلى حد المنع
 النص الأجنبي √ مواقف مناهضة تصل إلى حد المنع
 حركة التكامل: أثقال وهموم تجمع بين وجود الرواية ^ الرواية من أمريكا
 العربية — اللاتينية
 : الخطاب الأيديولوجي المتواري — الخطاب المضمر — نفي الإبداع

3.3 - مقدمة "نظرية الرواية و الرواية العربية"

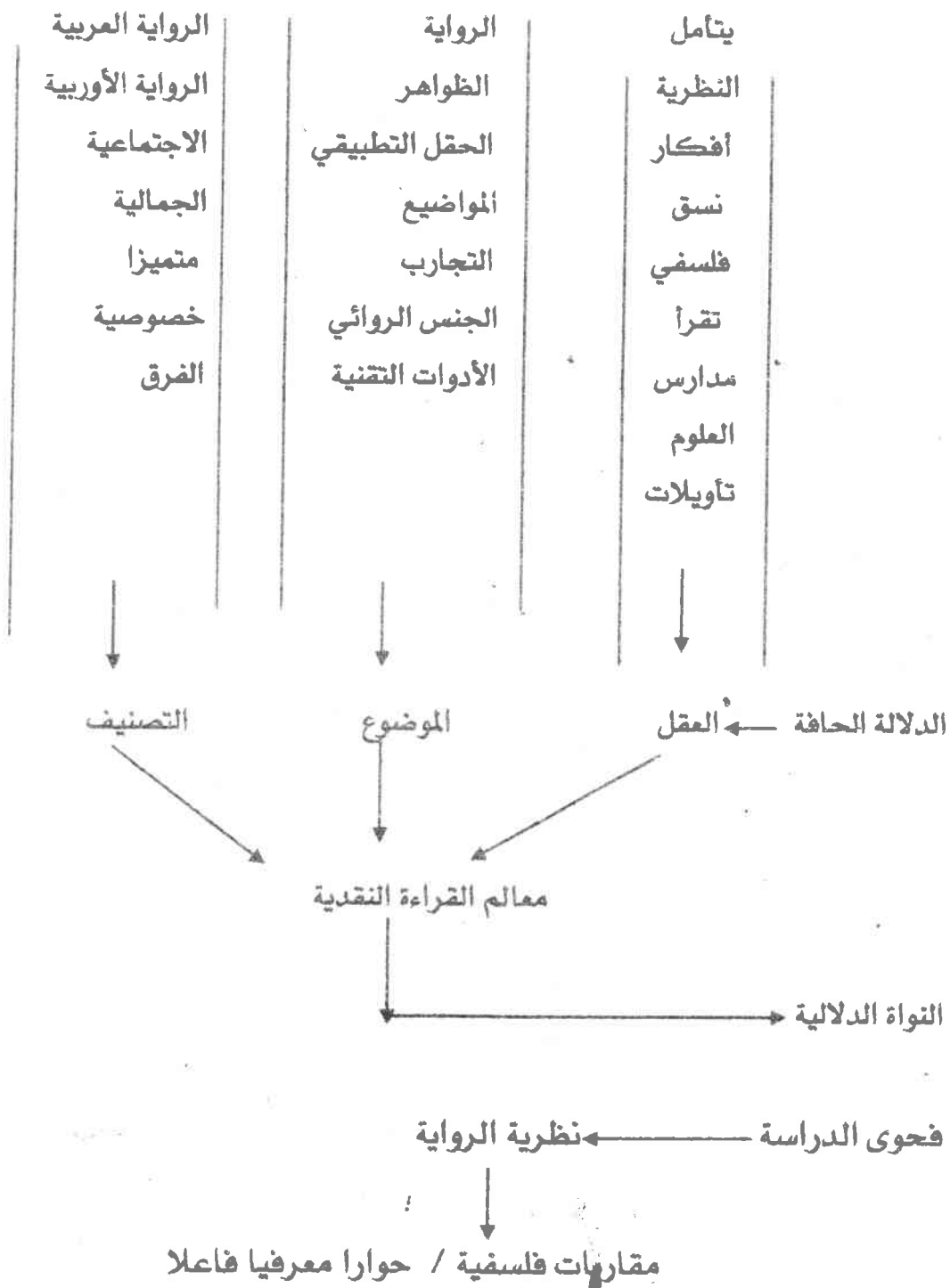
تتعلق هذه المقدمة تحديداً بالكتاب الذي ألفه الباحث فيصل الدراج وفق العنوان المذكور أعلاه 15



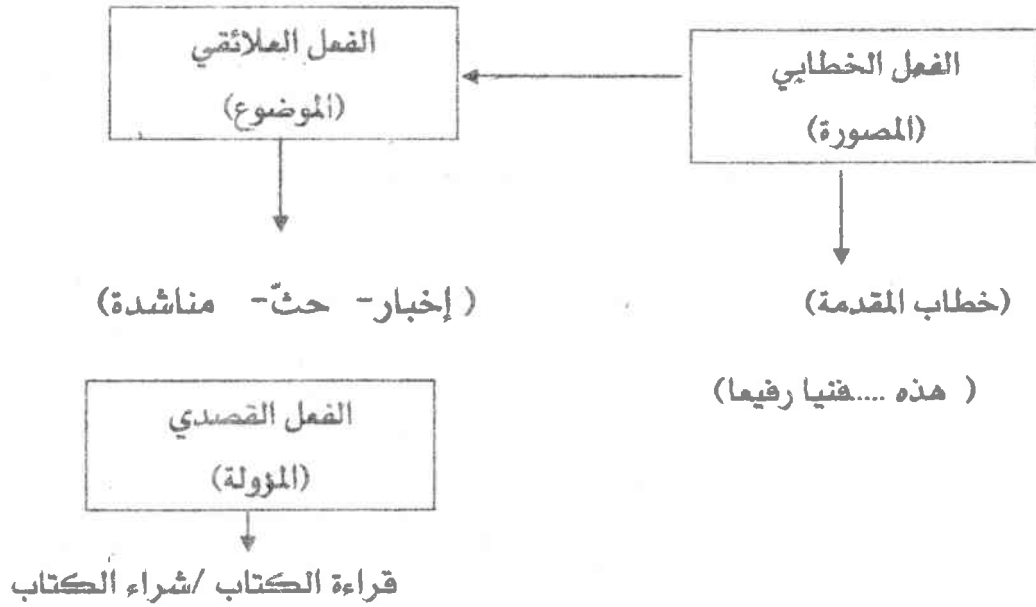
خطاب المقدمة



❖ حقول الخطاب

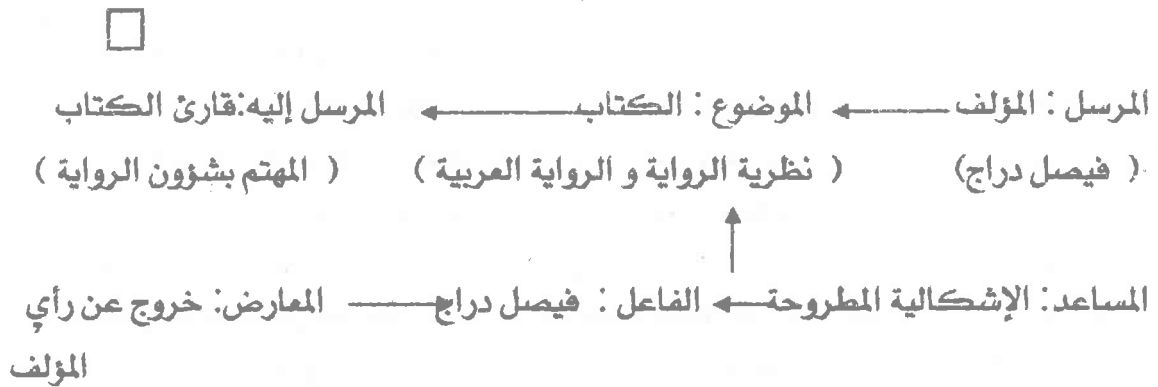


◆ البعد التداولي



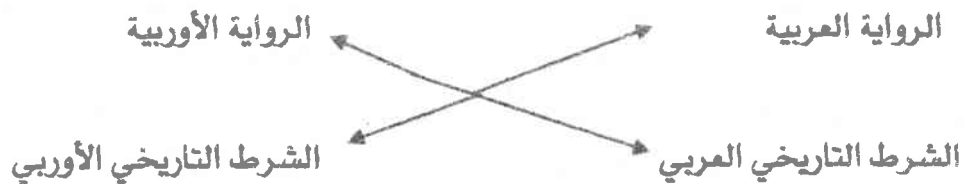
◆ النموذج العاملي

يمكن تحديد معاملة على النحو التالي :



◆ المربع السيميائي

يمكن تحديد معاملة على النحو التالي :



تتمظهر أوجه العلاقات وفق الاحتمالات التالية :

المحور الإيجابي: وجود الرواية العربية ← وجود الشرط التاريخي العربي ← خصوصية النص

المحور السلبي : وجود الرواية العربية ← الشرط التاريخي الأوربي ← انعدام الخصوصية
حركة التضاد: الرواية العربية ^ الرواية الأوربية ← تعارض في القيم

الشرط التاريخي العربي ^ الشرط التاريخي الأجنبي ← صراع وجدل

حركة التناقض : الرواية العربية √ الشرط التاريخي الأجنبي ← نفي الخصوصية

الرواية الأوربية √ الشرط التاريخي العربي ← نفي الخصوصية

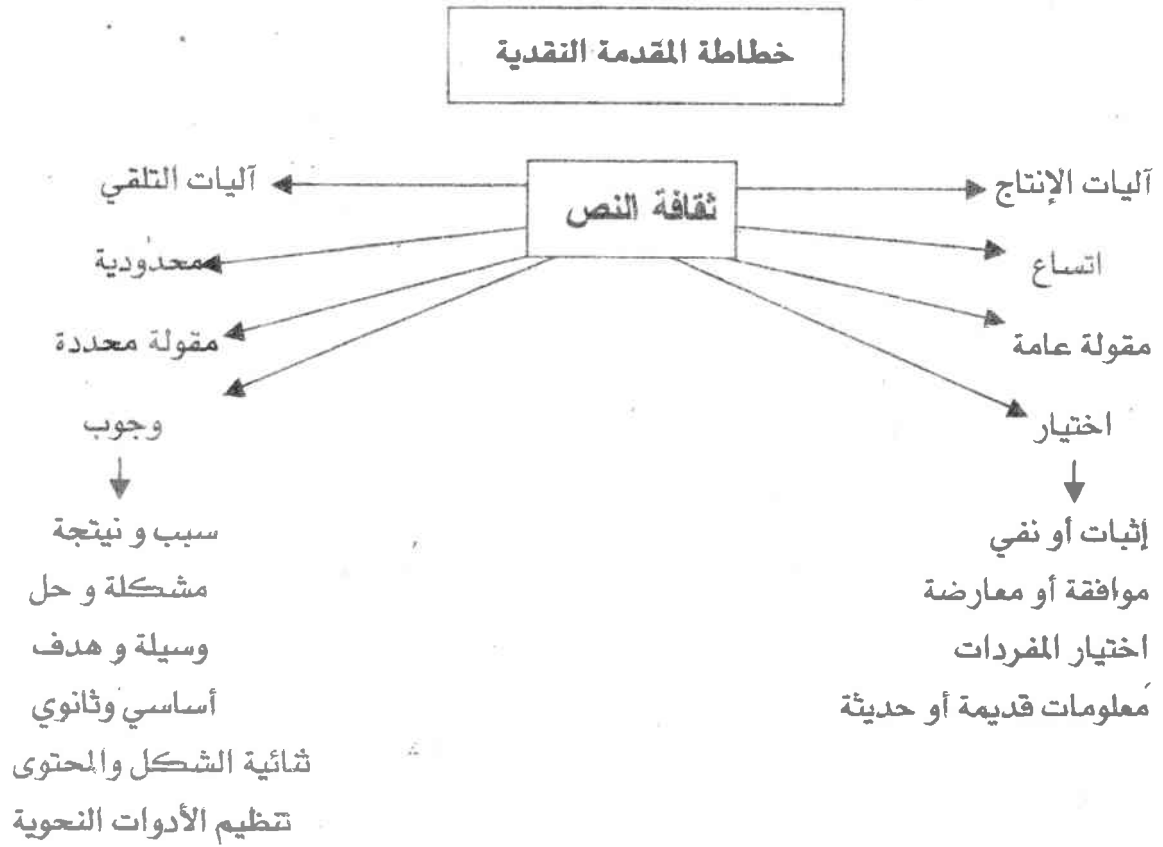
حركة التكامل : الشرط التاريخي العربي ← الرواية العربية ← تأكيد الخصوصية

الشرط التاريخي الأجنبي ← الرواية الأوربية ← تأكيد الخصوصية

4- شكلنة المقدمة النقدية

يجري بناء نسق المقدمة النقدية في الغالب وفق نمط الأضداد ؛ إذ بمقدوره أن يجمع بين خيارات وقيود في آن واحد ؛ انطلاقاً من كون هذه الخيارات قد تكون قبلية محددة سلفاً قبل مرحلة الإنجاز في ظل وجود قيود تراعي نظام النص ؛ ارتباطاً بأولويات الموضوع المستهدف قد تخدم الحياد إن أخذت بمقياس المقالة العلمية أو المجادلة على أساس فعالية مناصرة موقف يشكل بدوره صلب الموضوع الذي يجري معالجته بين دفتي الكتاب المعني ؛ إذا سيتم على ضوء ذلك توزيع المحتوى في شكل عبارات دقيقة مترابطة بما يضمن إيصال المعنى أو إبراز موقف

في نطاق العرض الأولي على طول نسيج مقدمة الكتاب بالنظر إلى ثلاثة اعتبارات أساسية كفاءة الخطاب معرفياً ، وجود فعالية التأثير ، و تناسب كلي مع ما يعرضه أو يدافع عنه و سنشهد تبعاً لذلك بؤرة السياق المهيمنة على مساحة خطاب المقدمة ينضوي في سياقها وجود عمود فقري للنص بوصفه علامة مركزية ؛ وقد يكون في وضع ملتقى النصوص الفرعية الأخرى فإن تم إسقاطه ستفقد المقدمة برمتها صيغتها الشكلية و النوعية في آن واحد و لذلك مع صيرورة النص سنكتشف كيف يحصل الترابط و التكامل بين سياق المقدمة و هدفها البارز و لذلك فما تأخذ به المقدمة عموماً و المقدمة النقدية خصوصاً تحقق التفاعل بين فقراتها و قد تصل إلى حد المزج بمنطق التدرج و التسلسل فتتحقق فيها صفة الإرشاد و الإلزام أيضاً فتستوي إثر ذلك الخصائص المعرفية على مستوى الدلالي اللفظي و التركيبي إلى أن يتسع إلى كلفة الفقرات.



فكرة 1 (عبارات أو جمل)



إحالات :

- ¹ - Gérard Genette .Seuils . Ed seuil paris 1987 p164
- ² -André Helbo .SEMILOGIES DES MESSAGES SOCIAUX Ed edilig . PARIS 1983. p12
- ³ - Umberto Eco .la structure absente : introduction a la recherche sémiotique Ed mercure de France paris 1972 p11
- ⁴ -A.J Greimas - J .courtes. Introduction a la sémiotique narrative et discursive. Ed Hachette université paris 1976 p27
- ⁵ - Charles S Peirce. Trad : Gérard Deledalle .Ecrits sur le signe .Ed seuil paris 1978 p216-217
- ⁶ - Greimas .sémantique structurale .Ed Larousse paris 1966. p68
- ⁷ -André Helbo .SEMILOGIESDESMESSAGES SOCIAUX. p69.
- ⁸ - Gérard Deledalle .théorie et pratique du signe : introduction a la sémiotique de Charles. S Peirce. Ed : Payot. Paris 1979 .p157
- ⁹ - John R .Searle .trad : Hélène Pauchard .les actes de langage Ed Hermann. paris 1972. p25
- ¹⁰ - Greimas .sémantique structurale .p173
- ¹¹ - Jean Michel Adam -Marc bonhomme .Argumentation publicitaire : rhétorique de l'école et de persuasion .Ed NATHAN 1997. p28
- ¹² -A. J . Greimas .Du SENS :Essais sémiotique Ed seuil sept 1983 p 61
- ¹³ - عبد السلام المسدي قراءات مع الشبابي و المتنبّي و الجاحظ، و ابن خلدون الشركة التونسية للتوزيع تونس ط 1984
- ¹⁴ -سمير أبو حمدان النص المرصود دراسات في الرواية المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت ط 1990
- ¹⁵ - هيفصل دراج . نظرية الرواية و الرواية العربية .المركز الثقافي العربي الدار البيضاء /بيروت ط 1999